بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة إبراهيم

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾

﴿الٓرۚ﴾ سبق بيان معناها، فارجع إليه عند تفسير أول سورة البقرة.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ وهو القرآن، وذلك ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ﴾ بما فيه من الهدىٰ، والدعوة إليه، والتربية علىٰ تعاليمه ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكثيرة كالضلال، والشهوات، والشرك ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: نور الإسلام وهديه. كل ذلك ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بتوفيقه، وتيسيره، وهدايته.

نعم، إلىٰ هذا النور، إلىٰ الإسلام، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا يمنع هديه أحد ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المحمود في شرعه، وهديه، ودينه.

نعم إلىٰ هذا النور، إلىٰ الإسلام، إلىٰ صراط..

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقا، وملكًا، وتصرفًا.

وإن إلٰها كهذا عزيز، حميد، غني. لهو أولىٰ بالطاعة، وأحق بالإيمان به، والخضوع له، واتباع نبيه.

والنعيم لمن أطاعه، وآمن به، وخضع له، واتبع نبيه ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ﴾ به، الذين لا يطيعونه، ولا يؤمنون به، ولا يخضعون له ولا يتبعون نبيه ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ لهم يوم القيامة.

هؤلاء الكافرون به الذين لا يطيعونه، ولا يخضعون له، ولا يتبعون نبيه هم:

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾

أي: يتصفون بصفات ثلاث:

الأولىٰ: أنهم يفضلون ﴿الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾؛ فيعملون لها، ويتركون الآخرة وراء ظهورهم نسيًا منسيًا.

الثانية: أنهم ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وعن دينه، وعن الدعوة إليه، إما بالتحريف، أو بالتخويف، أو بالمنع.

الثالثة: أنهم يريدون دعوة الله علىٰ هواهم ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي: منحرفة عن المنهج الذي أراده الله.

﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق، ولن يصلوا مما يريدون إلىٰ شيء؛ لأن دعوة الله مستقيمة في نفسها، لا يضرها ـ بإذن الله ـ مَن خالفها، إلَّا مَن خذلها.

ومن نعم الله تعالىٰ أنه كما يقول رب العزة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾

يعني: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ قبلك يا محمد ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ من إخوانك المرسلين ﴿إِلَّا﴾ متحدثًا ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ أي: بلغتهم ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ رسالة الله؛ ويفهموه.

﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ﴾ بعد هذا البيان ﴿مَن يَشَاءُ﴾ الضلال ويحبه ويهواه، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ الهداية ويحبها ويختارها.

وكل ذلك بإذنه ومشيئته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في هذا وذاك.

وهذا واحد من الرسل الذين أرسلناهم بلسان قومهم، ولغتهم. يقول الله تعالىٰ:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في معنىٰ هذه الآية: وكما أرسلناك يا محمد وأنزلنا عليك الكتاب؛ لتخرج الناس كلهم، وتدعوهم إلىٰ الخروج من الظلمات إلىٰ النور، كذلك أرسلنا موسىٰ إلىٰ بني إسرائيل بآياتنا؛ ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور.

ثم قال له ربه ـ أي: لموسىٰ ـ ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي: بنعمه عليهم، من إخراجهم من أسر فرعون وقهره لهم، ومن إنجائهم من الغرق إلىٰ غير ذلك من النعم الكثيرة، حيث ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما حدث لبني إسرائيل ﴿لَـَٔايَـٰتٍ﴾ وعبر وعظات ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ علىٰ البلايا ﴿شَكُورٍ﴾ علىٰ العطايا، يتعظ بها، ويفيد منها، لو كان ممن يعقلون..

ثم يقول ربنا للمصطفى ﷺ:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ اذكر يا محمد لقومك لعلهم يعتبرون ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ بني إسرائيل ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ واشكروه ﴿إِذْ أَنجَىٰكُم﴾ سبحانه وتعالىٰ ﴿مِّن﴾ عذاب ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ حينما كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ أي: يذيقونكم وينزلون بكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أسوأ ألوانه، وأشد أنواعه، كما كانوا ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ لتعجيزكم ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ لخدمتهم وإذلالكم.

﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الذي كان يحدث لكم ﴿بَلَآءٌ﴾ واختبار لكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أي: هل ترضون بالذل والهوان، أو تنشدون الحرية مع الإيمان..؟ وهل تشكرون علىٰ النعمة والسراء، أو تكفرون علىٰ النقمة والضراء؟

واذكر أيضًا يا محمد لقومك ما قاله موسىٰ لقومه، حيث قال:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي: وعدكم ربكم بقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمي عليكم ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إنعامًا وفضلًا ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أي: جحدتم هذه النعم، ولم تشكروني عليها بمزيد الطاعة ﴿إِنَّ عَذَابِي﴾ لكم في هذه الحالة ﴿لَشَدِيدٌ﴾ الوقع والإيلام.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾

يعني: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لهم أيضًا ﴿إِن تَكْفُرُوا﴾ بنعم الله عليكم يا بني إسرائيل، ولا تشكروه عليها ﴿أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ معكم في هذا الكفران، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عن شكركم وشكرهم ﴿حَمِيدٌ﴾ أي: محمود في ذاته، لا يحتاج إلىٰ حمد مَن ينعم عليهم من عبيده.

وبعد أن ذكر الله طرفا من قصة موسىٰ؛ ليتعظ بها كفار مكة، أتبع ذلك بقصص بعض الأمم التي عاندت رسلها، وكفرت بربها، لينتبه كفار مكة إلىٰ ما حدث منهم ولهم؛ وليحذروا مصيرهم، حيث يقول لهم مباشرة علىٰ لسان نبيه ﷺ:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

يعني: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأُ﴾ أي: خبر ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم السابقة مثل ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ عليه السلام ﴿وَعَادٍ﴾ قوم هود عليه السلام ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح عليه السلام.

﴿و﴾ كذلك نبأ ﴿الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ وهم أمم كثيرة ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾.

هؤلاء جميعًا ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ من الله على دين التوحيد، وعبادة الله.

﴿فَ﴾ ما كان من هذه الأمم، إلا أنهم: ﴿رَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ بالتكذيب، بدل من أن يمدوها إلى رسلهم بالمبايعة والتصديق والمتابعة.

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ لهم بعناد ومكابرة، وجهل ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ من التوحيد، وعبادة الله.

﴿وَإِنَّا﴾ كذلك ﴿لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ لا تطمئن إليه النفس، ولا يستريح له البال. **وهنا..**

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾

أي: ﴿قَالَتْ﴾ لهم ﴿رُسُلُهُمْ﴾ متعجبين من مقالتهم، ومنكرين عليهم صدورها منهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ وأدلة وجوده وألوهيته كثيرة في الوجود، ظاهرة للعيان.

ومن هذه الأدلة الظاهرة أنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خالقهما، وهذا أمر لا يدعيه أحد أبدًا، وهو سبحانه ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ إلى الإيمان به، وتوحيده، وعبادته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ إذ آمنتم.

وكذلك ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب، أي: يجعلكم تعيشون في سلام وأمان ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو الموت.

أتدرون ماذا قالت لهم أقوامهم؟ ﴿قَالُوٓاْ﴾ لهم ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ أي: ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ لا ميزة لكم علينا، فكيف نتبعكم ونحن مثلكم سواءً بسواء.؟ بل أنتم فقط ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾ وتمنعونا ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.. على كل حال ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ بعلامة واضحة، وآية بينة على نبوتكم ونحن نتبعكم.

وهنا أجابت الرسل عليهم بكل وضوح، حيث:

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

والمعنىٰ: أن الرسل لم تنكر بشريتها، ولم تدع ما ليس لها، ولكن ردوا الفضل لله، واعترفوا بالنعمة لله ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ﴾ بالنبوة والرسالة ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ وكنا نحن من هؤلاء الذين تفضل عليهم بها.

ولذلك: ولأن النبوة فضل من الله ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾ وما نستطيع ﴿أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي: بآية تقترحون علينا أن نأتي بها ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ومشيئته.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ويثقوا به في كل أحوالهم، ويصبروا في معاداتكم، ونحن كذلك نتوكل عليه، ونحتمي به سبحانه. **ثم قالوا:**

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾

أي: ولم لا ﴿نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ونثق فيه، ونحتمي به ﴿وَقَدْ﴾ فعل بنا ما يدعونا إلىٰ هذا التوكل عليه، ومن ذلك أنه ﴿هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ﴾ أي: الطرق التي نعرفه سبحانه بها.

﴿و﴾ علىٰ كل حال ﴿لَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ﴾ به من الأقوال والأفعال، ولنتوكل عليه، ونحتمي به ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي: من أراد التوكل الحقيقي، والاعتماد الراسخ فعلى الله تعالى، لا علىٰ غيره.

ولمَّا وصل الأمر إلىٰ هذا الحد الذي انقطعت فيه حبال الكافرين في عنادهم مع الرسل، وعجزوا عن النقاش، ورأوا صلابة هؤلاء الرسل الدعاة في مواقفهم، لجئوا إلىٰ التهديد والتخويف.

يقول الله تعالىٰ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

يعني: لجأ الطغاة إلىٰ آلات بطشهم وظلمهم، كما هي عادتهم عند عجزهم عن الحوار والمناقشة، حيث قالوا ﴿لِرُسُلِهِمْ﴾ مهددين: ﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾ أي: بلادنا، وننفيكم ونبعدكم عنها، ما دمتم مصرِّين علىٰ دعوتكم ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ أي: في ديننا، وتتركون دعوتكم.

وأمام هذا التهديد ورغبة البطش، وما دام الأنبياء قد بلَّغوا رسالتهم وأدوا مهمتهم، تدخلت العناية الإلهية.. ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾ بما يثبتهم، ويرد عنهم كيد الظالمين قائلاً لهم: ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ونحفظكم ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: البلاد ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾. و﴿ذَٰلِكَ﴾ الاستخلاف ﴿لِمَنْ﴾ تحققت فيه صفتان:

الأولىٰ: ﴿خَافَ مَقَامِى﴾ أي: خاف من الوقوف أمام ربه في يوم الحساب.

الثانية: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أي: خاف وعيدي بالعذاب، للكافرين والعصاة.

وبهذا حمي وطيس الخلاف بين الفريقين، وانقطع حبل النقاش.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

أي: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ جميعًا، يعني: استنصروا وطلب كل فريق النصر علىٰ الفريق الآخر، وكانت النتيجة أنه ﴿خَابَ﴾ الكافرون، حيث إن الله يخذل كُلَّ ﴿جَبَّارٍ﴾ متجبر في نفسه، وعلىٰ غيره ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق، متكبر عليه.

ومع خيبة كل جبار عنيد!! فإنه:

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾

يعني: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: أمام هذا الكافر الجبار العنيد ﴿جَهَنَّمُ﴾ تنتظره، ليعذب ويخلد فيها.. ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ وهو فيها ﴿مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ وهو ما يسيل من جلود أهل النار ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يشربه جرعة جرعة ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ وهو يبلعه لقبحه ونتنه وكراهته.

﴿و﴾ في ذات الوقت ﴿يَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي: أسبابه وآلامه لو كان سيموت، ﴿و﴾ لكن ﴿مَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ حتىٰ يستريح من هذه الآلام.

﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ أي: ينتظره ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أشد مما هو فيه.

إن الذي قرأناه هو مثل الذين كفروا، فما مثل أعمالهم التي نراها، وقد نبهر بها؟ يجيب ربنا قائلًا:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾

أي: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ هو ما تلوناه عليكم.

أما مثل أعمالهم، فهي ﴿كَرَمَادٍ﴾ حمله الهواء و ﴿ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ وذلك ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ بذر هذا الرماد وفرقه في كل ناحية، حتىٰ أصبحوا لا يقدرون علىٰ جمعه مرة ثانية.

وهكذا ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا من صلة الأرحام، والعطف علىٰ الفقراء.. إلخ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ يوم القيامة علىٰ الحصول ﴿مِمَّا كَسَبُوا۟﴾ من ثواب ما عملوا ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ يفيدهم.

ورحم الله شاعر البؤس حينما اقتبس هذا المعنىٰ وصاغه في هذه الأبيات التي صور بها حاله. قائلًا:

إن حظي كدقيق بين شوك نثروه
ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه
صعب الأمر عليهم قال قوم اتركوه
إن من أشقاه ربي كيف أنتم تسعدوه

ثم يقول ربنا عز وجل علىٰ ضياع ثواب أعمال الكافرين:

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾.

ويخاطب ربنا كل أحد فيقول:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

يعني: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها الإنسان ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ لغاية وحكمة، ولم يخلقهما عبثًا.. فيدفعك هذا إلىٰ الإيمان به، وتوحيده، وعبادته.

﴿إِن يَشَأْ﴾ سبحانه ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ بعدمكم بالموت، أو الإهلاك؛ إن لم تؤمنوا، وتوحدوا، وتطيعوا ﴿وَيَأْتِ﴾ بدلًا منكم ﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يفعلون ذلك ﴿وَمَا ذَٰلِكَ﴾ الإعدام والمجيء بالخلق الجديد ﴿بِعَزِيزٍ﴾ علىٰ الله تعالىٰ.

ثم يحدثنا ربنا، ويعرض علينا مشهدًا من مشاهد يوم القيامة، فيقول جل جلاله:

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾

أي: وبرزت الخلائق كلها لله في يوم القيامة، لا يسترهم شيء، ولا تخفىٰ علىٰ الله منهم خافية. ويدور هذا الحوار بين الكفار وبعضهم البعض.

يقول تعالىٰ: ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ في الرأي، وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ عليهم وعلىٰ عبادة الله، واتباع الرسل: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: تابعين لكم، نفعل ما

تريدون، ونطيعكم فيما تأمرون به، ونحن نُعذب الآن بسبب هذه الطاعة لكم.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ ومبعدون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ هذا الذي ينزل بنا ﴿مِن شَيْءٍ﴾ ولو يسيراً؟ ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الذين استكبروا؛ جواباً لهم.. اسكتوا عنا، فنحن نعذب مثلكم، و﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلىٰ طريق النجاة من العذاب ﴿لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾ إليه.

ولكن، ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾ وعليكم ﴿أَجَزِعْنَآ﴾ من العذاب ﴿أَمْ صَبَرْنَا﴾ عليه ﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ أي: مهرب من هذا العذاب.

ومن المشاهد كذلك أنه بعد أن يدخل المؤمنون الجنة، ويزج بالكافرين في النار، يقف إبليس عليه لعنة الله خطيباً في الكافرين؛ ليزيدهم حزنًا علىٰ حزن وحسرة علىٰ حسرة. يصور ذلك قوله تعالىٰ:

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

أي:﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أيضًا ﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ وفصل بين الخلائق، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار!! قال للكافرين: مبكِّتًا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ﴾ خيرًا إن آمنتم به، ووحدتموه، وعبدتموه، وكان وعده ﴿وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ الذي لا خلف فيه وأما أنا، فـ: ﴿وَعَدتُّكُمْ﴾ خيرًا إن لم تؤمنوا، وتوحدوا الله، وتطيعوه، وكان وعدي كاذبًا ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ وضيعتكم، ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: قوة أرغمكم بها علىٰ اتباعي ومطاوعتي حين دعوتكم ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ فقط بوسوستي ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ بمجرد الدعوة.

وعلىٰ هذا، ﴿فَلَا تَلُومُونِى﴾ علىٰ خيبتكم، وضياعكم، وعذابكم، ﴿و﴾ لكن ﴿لُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ فإن الذنب ذنبكم؛ حيث إنكم اتبعتموني علىٰ الباطل بمجرد دعوتي لكم، واعلموا جيدًا أنه ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بمغيثكم، ولا بمنقذكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ كذلك، من عذاب الله.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾ اليوم، وتبرأت من عبادتكم لي، ومطاوعتكم لوسوستي، كما كفرت ﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ مع الله، في عبادتكم.

وقد ظلمتم أنفسكم بهذا الذي فعلتموه، و﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

لمَّا شرح ربنا بعض أحوال الكفار الأشقياء، أتبع ذلك ببيان مصير المؤمنين السعداء، جعلنا الله وإياكم منهم، فقال:

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾

أي: ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: أدخلتهم الملائكة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ينعمون بها حيث ساروا فيها، وحيث أقاموا ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أبدًا، لا يُحوَّلون عنها، ولا يزولون منها ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ كل ذلك من إدخال الملائكة لهم، والخلود فيها ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله لهم، ومن الملائكة، وفيما بينهم ﴿سَلَٰمٌ﴾.

ثم ضرب الله مثلًا للكلمة الطيبة التي تدخل صاحبها الجنة، فقال عز وجل:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

يعني: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم ﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: مثلًا للكلمة الطيبة، وهي «لا إله إلا الله»؟ إن كنت لا تعلم، فاعلم أن مَثَلها ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ راسخ، لا يهتز، ولا يتزعزع ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ عال مرتفع، يزهو بشموخه وعزته.

وهذه الشجرة ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ ثمارها التي ينتفع بها، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ وتيسيره، وتكوينه لها.

﴿و﴾ هكذا ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ الموضحة ﴿لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيفهمون؛ فيزدادون إيمانًا.

وبعد هذا المثل أتبع ربنا في آياته ضرب مثل آخر للكلمة الخبيثة التي تدخل صاحبها النار، فقال جل وعلا:

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

أي: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ وهي: كلمة الشرك والكفر والضلال، مثل ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ لا أصل لها، ولا ثمر، ولا نفع منها ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ قطعت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ﴾ بسهولة؛ حيث ﴿مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ أي: أصل، أو جذور، أو ثبات.

وهكذا كلمة الكفر لا أصل لها في الفطرة البشرية، ولا قرار لها في النفس الإنسانية الصافية، ولا بركة فيها لأحد.

ثم يعقب ربنا على هذين المثالين بقوله عز وجل:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

يعني: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ﴾ بمشيئته ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ وهو قول لا إله إلَّا الله، ويديمهم عليه ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لا يتزعزعون فيه، ولا يتحولون عنه ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: في القبر، وهو بداية مراحل الدار الآخرة، يلقنون الجواب، ويمكنون من الصواب. هذا ﴿و﴾ من جهة أخرى ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بمشيئته، فلا يهديهم إلى الحق، ولا يوفقهم إليه.

﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ﴾ في هذا وهذا ﴿مَا يَشَآءُ﴾ لا يسأل عما يفعل، ولا اعتراض عليه لا في تثبيت المؤمنين، ولا في إضلال الظالمين.

ثم يتعجب الله من أفاعيل الكافرين، التي لا تصدر عمن له أدنى وعي وإدراك، فيقول جل جلاله:

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾

يعني: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: تنظر أيها العاقل المتدبر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟﴾ أي: غيروا ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ أي: بدل من أن يشكروا الله على نعمه كفروا به سبحانه، وغيروا شريعته، ولم يعملوا بتعاليمه.

﴿و﴾ بذلك ﴿أَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ﴾ يعني: أسكنوا أتباعهم ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾.

ولكن، ما دار البوار هذه؟ إنها:

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾

أي:﴿جَهَنَّمَ﴾ هي دار القرار، التي يقيمون فيها مع أتباعهم، ويستقرون.

﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها، وهم يحترقون ﴿و﴾ حقًّا ﴿بِئْسَ﴾ هذا ﴿ٱلْقَرَارُ﴾ لهم قرارًا.

وهؤلاء لم يبدلوا نعمة الله كفرًا فقط، بل يقول عنهم ربنا عز وجل:

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

يعني: أنهم ﴿جَعَلُوٓاْ﴾ أيضًا ﴿لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء يعبدونهم ﴿لِّيُضِلُّواْ﴾ هم، ويُضلوا غيرهم ﴿عَن سَبِيلِهِۦ ۗ﴾ وهو دين الإسلام. لا تهتم بهم، ولا تحزن عليهم، و﴿قُلْ﴾ لهم مهددًا ومخوفًا: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾ بدنياكم، ولهوكم فيها ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ ونهايتكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾ فيها تعذبون، وفي دركاتها تخلدون.

وإذا كان هؤلاء قد انحرفوا وضلوا، فإن غيرهم يسعدون بتلقي أوامر الله وتنفيذها. يقول تبارك وتعالىٰ لحبيبه ﷺ:

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾

أي: ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّعِبَادِيَ﴾ الصالحين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بالمحافظة علىٰ أدائها كاملة، في أوقاتها.

﴿وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من أموال وجهد وعلم وغير ذلك ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ بما يناسب كل وقت وحال، وذلك أي: إقامتهم للصلاة وإنفاقهم ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ﴾ عليهم ﴿يَوْمٌ﴾ أي: يوم القيامة الذي ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ ولا إنفاق، ولا صلاة، ولا أي عمل ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ أي: صداقات تنفع، ولا قرابات تشفع.

وهذا التهديد للكافرين، الذي قرأناه، وكذلك هذا التشريف للمؤمنين بالأوامر العلوية.

هذا وذاك، من الله تعالىٰ الذي يقول عن نفسه:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

في هذه الآيات الكريمة يبين ربنا تبارك وتعالىٰ أنه أنعم علىٰ عباده بسبعة أشياء، فيها الدلالة الكاملة ـ لمن أراد أن يفهم ـ علىٰ وحدانيته، وعلمه، وقدرته سبحانه وتعالىٰ.

حيث يقول عز وجل: ﴿ٱللَّهُ﴾ ربكم هو ﴿ٱلَّذِى﴾ اختص بهذه الأشياء، ويعلمها لا غيره، ويقدر عليها لا غيره، فوحِّدوه واعبدوه، وهذه الأشياء هي:

الأول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ علىٰ هذا الشكل البديع النافع.

الثاني: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: السحاب ﴿مَآءً﴾ لكم علىٰ الأرض ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الكثيرة المتنوعة ﴿رِزْقًا﴾ من الله ﴿لَّكُمْ﴾.

الثالث: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ أي: السفن ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ فتنتفعون بها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ وإذنه، بعد أن ألهمكم صنعها.

الرابع: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ تنتفعون بها في الشرب، وسقي الزروع والثمار.

الخامس: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ يجريان دائمًا في مصالح العباد، لا يهدآن ولا يقفان إلىٰ آخر الدهر.

السادس: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضل الله، وهما يتعاقبان في نظام دقيق لا يختل.

السابع: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ علىٰ حسب مصالحكم، وهيأ لكم كل ما تحتاجون إليه في حياتكم.

هذا، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن تحاولوا عد نعم الله إجمالًا ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ أبدًا، فكيف لو حاولتم عد أنواعها تفصيلًا.

كل ذلك وقليل من عباد الله الشكور، كل ذلك وهناك مَن لا يوحده، ولا يعبده، ولا يطيعه.

حقًّا: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ جنس الإنسان ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ في الشدة: يشكو، وفي النعمة: يجمع ويمنع، ولله لا يطيع ويخضع.

يقول ربنا لحبيبه ﷺ: يا محمد، قومك بدلوا نعمة الله كفرًا، ولم يشكرون الله على ما آتاهم من النعم الوفيرة. ذكّرهم بإبراهيم الذي كان وجوده في هذه المنطقة سبب وجودهم، وسبيل إنعام الله عليهم؛ لعلهم يعتبرون فيؤمنون. قل لهم يا محمد:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

أي: اذكر لقومك وذكرهم ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ يوم أن ترك زوجه وولده، في هذا المكان الذي تقيمون فيه، وكان قفرًا خاليًا من ألوان الحياة: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ ذا أمن لأهله، ومَن دخله ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾ وأبعدني ﴿وَبَنِىَّ﴾ أولادي وذريتي من ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

ثم تحدث عن هذه الأصنام وخطورتها قائلًا:

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

يعني: يا ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي: الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ لذا سألتك العصمة، واستعذت بك من إضلالهن ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ واجتنبهن وابتعد عنهن، ولم يعبد سواك ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾، ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ وضل بسببهن أو بغير ذلك، فالأمر مفوض إليك ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إن شئت هديته فآمن، فغفرت له ورحمته.

وبعد أن تحدث عن الأصنام واستعاذ بالله منها تحدث عن ذريته، **وصار يدعو لهم** حيث قال:

﴿رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

أي: يا ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ﴾ بناءً علىٰ أمرك ووحيك ﴿مِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي: بعض ذريتي ﴿بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ وهو: مكة ﴿عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ وقد أسكنتهم في هذا المكان، يا ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ عند بيتك المحرم، فوفقهم إلىٰ ذلك، وأعانهم عليه.

يا رب، ولأن المكان خال موحش ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ﴾ قلوبًا ﴿مِن﴾ بعض ﴿ٱلنَّاسِ﴾ وهم المؤمنون ﴿تَهۡوِيٓ﴾ أي: تسرع وتطير شوقًا ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ وإلىٰ مكانهم هذا، حجاجًا، وعمارًا، وزوارًا.

يا رب.. ولأن المكان بواد غير ذي زرع ﴿وَٱرۡزُقۡهُم﴾ بفضلك ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ التي يحتاجون إليها، ويعيشون بها.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ النعمة، عندما تهوي إليهم هذه القلوب، ويرزقون من الثمرات.

وبعد أن أسكنهم إبراهيم عليه السلام في هذا المكان، وبعد أن دعا لهم بهذا الدعاء، أراد أن يعود ـ بأمر ربه ـ إلىٰ الشام، تاركًا لهما.

قالت له زوجه: إلىٰ مَن تتركنا وتكلنا؟ قال: إلىٰ الله.

قالت: الحمد لله، إذا لن يُضيّعَنا. وهنا: دعا ربه قائلًا:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾

أي: قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ﴾ أحوالنا، وما يصلحنا، وما يفسدنا، وأنت أرحم بنا، و﴿تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ فلا حاجة بنا إلىٰ الطلب؛ لأنه ﴿مَا يَخۡفَىٰ﴾ عليك ﴿مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

وإنما ندعوك إظهارًا للعبودية لك، وتخشعاً لعظمتك، وتذللًا لعزتك، وافتقارًا لما عندك فلا تكلنا إلىٰ غيرك، ولا تترك أمورنا لسواك.

وسافر إبراهيم عليه السلام إلىٰ الشام، وعاشت هاجر مع ولدها إسماعيل عليه السلام في هذا المكان، واستجاب الله دعاء إبراهيم وعَمَرَ المكان، وسيظل عامرًا بأهله وحجاجه، وعُمَّاره، وزواره إلىٰ آخر الزمان، ورزق الله الجميع من أطيب الثمرات. ومرت الأيام.. ورزق إبراهيم بعد ذلك من سارة بإسحق عليه السلام. وشكر إبراهيم ربه قائلًا:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾

أي: قال شاكرًا لربه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾ أعطاني ﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ ولديَّ ﴿إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ﴾.

﴿إِنَّ رَبِّى﴾ كريم عظيم، وإنه ﴿لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ الذي سألته إياه حينما قلت: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات ١٠٠]. ثم دعا لنفسه وذريته قائلًا:

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾

يعني: يا ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: مواظبًا عليها، محافظًا لها ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ﴾ كذلك. يا ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ هذا، وغيره.

نلاحظ أنه أخي المسلم: بماذا دعا..؟ إنه لم يدع ربه إلَّا بأن يجعله مقيمًا للصلاة!!

اللَّهم ارزقنا إجابة ما دعا إبراهيم يا رب..

ثم ختم دعاءه بالدعاء لنفسه، ولوالديه، وللمؤمنين قائلًا بما نتعلم منه الدعاء الطيب:

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾

أي: يا ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ مغفرة تنفعنا وننعم بها ﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ الناس للحساب.

السورة تعطي جزءًا كبيرًا من اهتمامها للحديث عن:

﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣].

الذين قالوا ويقولون للدعاة إلىٰ الله:

﴿لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣]. ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]. ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

وكل هؤلاء من الظالمين، فهي تتحدث عن الظالمين، وفعلِ الله بهم في يوم الحساب، الذي طلب فيه إبراهيم عليه السلام مغفرةَ ربه، يقول الله تعالىٰ:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾

يعني: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ يا محمد، أو يا أيها العاقل، أو يا أيها المظلوم لا تحسبن ﴿ٱللَّهَ﴾ سبحانه ﴿غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بسبب إمهاله لهم، وتأخيره عذابهم. فهو عز وجل ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ أي: يؤخر عذابهم والانتقام منهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ القيامة، وهو يوم ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ تفتح ولا تغلق من هول ما ترىٰ.

ساعتها، يكونون خارجين من قبورهم ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين ﴿مُقْنِعِى﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلىٰ الأعلىٰ ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي: لا تنطبق علىٰ بعضها البعض جفونهم.

﴿و﴾ تكون ﴿أَفْـِٔدَتُهُمْ﴾ أي: قلوبهم ﴿هَوَآءٌ﴾ كالهواء، خالية من العقول، أو الفهم؛ لفزعهم.

ثم يقول ربنا للنبي عليه الصلاة والسلام:

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾

يعني: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ يا محمد، وخوفهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وينزل بهم.

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ ساعتها ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ﴾ أي: أَخِّر عذابنا وردنا إلىٰ الدنيا

مرة ثانية، وقتًا نستدرك فيه ما فاتنا، ونصلح فيه أخطاءنا، ونكفر فيه عن سيئاتنا، و﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ فنؤمن بك، ونوحدك، ونعبدك، ونعمل بشريعتك، ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ الذين أرسلتهم لنا، ونسير علىٰ طريقتهم.

فيقال لهم توبيخًا وتبكيتًا: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم﴾ وحلفتم ﴿مِن قَبْلُ﴾ ذلك، وأنتم في الدنيا قائلين: ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ عن الدنيا إلىٰ الآخرة أي: لا بعث لكم بعد هذه الحياة الدنيا؟

ثم يقال لهم كذلك توبيخًا وتبكيتًا:

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾

أي:﴿وَسَكَنتُمْ﴾ أنتم في الدنيا ﴿فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ من قبلكم من الأمم السابقة.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ وظهر وعرفتم ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من الإهلاك نتيجة ظلمهم.

﴿و﴾ كذلك ﴿ضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ في القرآن، للعظة والاعتبار، ولكنكم لم تتعظوا، ولم تعتبروا، ولم تؤمنوا.

ثم يقول ربنا عن كفار مكة:

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾

يعني: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ﴾ كفار مكة بالنبي ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ المعروف؛ حيث أرادوا: قتله، أو حبسه، أو طرده وإخراجه من مكة.

﴿وَعِندَ ٱللَّهِ﴾ عز وجل جزاء ﴿مَكْرُهُمْ﴾ لا يفوتهم.

﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ هذا لا مثيل له، ولا أسوأ منه، حيث مكرهم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ وهي جبال العقيدة الإسلامية الراسخة ؛ بتخلي محمد عنها، وانصراف المؤمنين عن التمسك بها.

ثم يقول لحبيبه، ولكل داعية إلىٰ الله مطمئنًا، ومثبتًا، ومبشرًا بالنصر:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

أي: اطمئن، وثق في نصر الله، يا كل داع إلىٰ الله، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ أبداً، أن ﴿ٱللَّهَ﴾ تعالىٰ ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ﴾ بالنصر ﴿رُسُلَهُۥ﴾ ودعاته إلىٰ دينه علىٰ أعدائهم: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

حيث: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يغلبه أحد، ولا يفلت من عقابه أحد ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ لأوليائه من أعدائهم.

وهذا الانتقام من الظالمين.. إن لم يكن في الدنيا، فإنه يكون..

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾

يعني: يكون هذا الانتقام من الظالمين في يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ﴾ فيه، وتكون أرضًا ﴿غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ التي نعرفها، وتبدل ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ فيه، وتكون سمٰوات غير التي نعرفها.

﴿وَبَرَزُوا۟﴾ أي: خرجوا من قبورهم امتثالًا لأمر الله ﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

﴿وَتَرَى﴾ في ذلك اليوم ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وهم ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مقيدين مع بعضهم البعض، أو مع شياطينهم، أو من أيديهم وأرجلهم ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ أي: السلاسل والقيود.

وتكون ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي: ملابسهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ يلذع جلودهم، ويساعد في إشعال النيران بأجسادهم.

﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ﴾ التي هي أعز شيء وأهم شيء عندهم ﴿ٱلنَّارُ﴾.

نعم، وبرزوا لله جميعًا من قبورهم..

﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾

أي: يكون هذا الإخراج من القبور، والبعث ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ﴾ تعالىٰ ﴿كُلَّ نَفْسٍ﴾

صالحة، أو شريرة ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاء ما كسبت وعملت في الدنيا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ لا يشغله حساب عن حساب، كما أنه يتم بقدرة الله في لمح البصر، ولكنه طويل عسير علىٰ أهل الضلال. نجانا الله من أهواله، وخفف عنا من أثقاله.

خـتـامًـا.. ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾

أي: ﴿هَٰذَا﴾ الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد؛ لتخرج الناس من الظلمات إلىٰ النور.

﴿بَلَٰغٌ﴾ وموعظة ﴿لِّلنَّاسِ﴾ ينتفعون به.

﴿و﴾ أيضًا ﴿لِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ ويخافوا من عذاب الله.

﴿وَلِيَعْلَمُوٓاْ﴾ بما جاء فيه أنه ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ الله فقط ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا غيره يستحق أن يعبد.

﴿و﴾ كذلك ﴿لِيَذَّكَّرَ﴾ ويعتبر ويفيد مما جاء به، ويعمل به ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أصحاب العقول الواعية الصافية.

* * *